دور المرجعية الدينية المقدسة، في أحداث ثورة العرب الكبرى ١٩٢٠، (ثورة العشرين)

م.م. محمد عبد علي حسين القزاز
جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

المقدمة

تعتبر مرجعية النجف الاشرف المرجعية الاولى في المجتمع الشيعي العراقي حيث يمتد مقلدوها في بقاع مختلفة من العالم، ويرجعون اليها في استيضاح مستجدات المسائل الشرعية، ويتواصلون معها من خلال حلقة الوكلاء الذين ينوبون عنها في المناطق التي يتواجدون فيها اتباعهم. وابرز ما تتميز به المرجعية الدينية هو العمق العلمي والزهد في الدنيا والحكمة، وهذا جعل من المجتمع يرتبط ارتباطا قويا بها، ويستجيب سريعا لما يصدر عنها ، ويؤكد تاريخ المرجعية الدينية على انها ومع الظروف القاسية التي مرت بها بقيت صامدة تواصل نشاطها وارتباطها، فقد لعبت دورا مهما لا على مستوى الشيعة فقط، بل على مستوى المسلمين عامة وفي مدن أخرى.

كانَ للحوزةِ العلمية الدينية وتوجيهاتها الدورَ الأساسي في انبثاق ثورة العشرين التي تعد اول ثورة في تاريخ العراق الحديث، حيث شكلت منعطفا تاريخيا وسياسيا واجتماعيا للشعب العراقي، وكانت البداية لتأسيس الدولة العراقية الحديثة، هذه الأهمية للثورة تنبع من الظروف المحيطة بها، والتي رافقت انطلاقها، والنتائج التي تمخضت عنها والتي كان لها أثر كبير على مستقبل العراق السياسي الحديث، وتنبع أهميتها من إنها أول ثورة وطنية ضد المحتل خاضها الشعب العراقي بكل طوائفه، وهي تعد مفتاح وحدة العراق من الريف.

تناول البحث الدور المرجعي الوطني لعلماء الحوزة العلمية الشريفة في اذكاء الثورة وقيادتها وما يتصل بهذا الدور من احداث ووقائع، ولو بحثنا في شمولية الثورة العراقية الكبرى واتساعها لوجب ذلك بحثا طويلا، لذلك جاء بحثنا مقتصرا على مانراه مناسبا من أحداث هامة ومؤثرة في تأريخ الثورة.

تناول البحث حقيقة دور المرجعية الشريفة في أطلاق شرارة ثورة العشرين وهي حقيقة وطنية وقف فيها الشعب العراقي برمته وبكل شرائحه الأجتماعية مهتديا بالقيادة المرجعية الرشيدة لعلماء الأمة، فكانت ثورة وطنية اسلامية عربية تجسدت فيها القيم العربية الأصيلة بابهى صورها الوطنية الرائعة.

يتألف البحث من مبحثين هما :ـ المبحث الأول : ظروف انبثاق الثورة، ودور المرجعية في انبثاقها.

المبحث الثاني : أسباب فشل الثورة، وأهم النتائج التي ترتبت عليها.

المبحث الأول : ظروف انبثاق الثورة، ودور المرجعية في انبثاقها:

بدأت المواجهات المسلحة وانتشرت في مناطق متعددة بالعراق، حيث اتخذت الثورة في باديء الأمر شكل مظاهرات من قبل أهالي بغداد بغداد، ولقد انطلقت المظاهرات من تجمع الأعيان والأهالي في جامع الحيدر خانة الذي شهد بداية الثورة في بغداد، ثم مدينة النجف الأشرف التي نزح إليها من بغداد قديما، الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي عام ٤٤٨ هـ وهو كبير علماء الإمامية الشيعة في ذلك الوقت، والذي وبانتقاله إلى مدينة النجف فتح عهدا جديدا للنجف حيث تحولت من مدينة ومزار إلى جامعة علمية كبرى. علما بان مدينة النجف كان لها قبل الشيخ الطوسي شأنها العلمي وكانت مقصد الطلاب للدراسة على علمائها الأعلام (١).

افتى مجتهدوا النجف الأشرف بالجهاد في بداية الحرب العالمية الأولى، بعد ان وجدوا في هجوم الإنكليز على العراق تدخلا سافرا على وطنهم، فانخرط الشعب في أثرهم بقيادة المجتهد العالم السيد محمد سعيد الحبوبي ومعه كتائب العلماء وطلاب النجف، وساروا مدججين بالسلاح إلى ساحات القتال في معركة ((الشعيبة)) وغيرها. وبعد الاحتلال الإنكليزي للعراق واعلان الانتداب، دعا المرجع الأعلى الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي كربلاء – الشعب العراقي لمقاومة الاحتلال والثورة على الانتداب، فهب الشعب حاملا سلاحه، فكانت الثورة العراقية الكبرى التي أرغمت المحتلين الإنكليز على اعلان الحكم الوطني، وتوفي الشيخ الشيرازي، فقاد الثورة خلفه الشيخ فتح الله النمازي المعروف بشيخ الشريعة. كانت النجف الأشرف مركزا للفقه والأصول ولبقية علوم الشريعة، حيث قاعدة العلماء والمجتهدين ومراجع الدين والعلماء، أمثال المجتهد الكبير السيد محمد سعيد الحبوبي، العالم والشاعر الكبير والثائر والقائد السياسي والسيد مهدي الطباطبائي بحر العلوم الفقيه والمرجع والشارع(٢).

كان الاستعداد على قدم وساق لمواجهة الغزاة الأنكليز بعد قدومهم الى العراق لغزوه ١٩١٤، حيثُ قاد هذه المواجهات واشترك فيها علماء الدين والحوزويين ضد الاحتلال، فشكلت تجربة مهمة، ومقدمة لمواجهات تلت ذلك ولا سيما في انتفاضة النجف الأشرف عام ١٩١٨ وثورة العشرين الكبرى ١٩٢٠، وتميزت بما حملته من دلالات فكرية وجهادية في مواجهة الاحتلال البريطاني لمدن البلاد(٣).

في مدينة النجف الأشرف أفتى المرجع الكبير محمد كاظم اليزدي (قدس) بـ"الجهاد" على الرغم مما عاناه القسم الأكبر من العراقيين في الوسط والجنوب من سوء معاملة، فضلاً عن موقفه المناهض للثورة الدستورية العثمانية، إذ كان

من دعاة "المستبدة" المعادية لدعاة الدستور "المشروطة"، وسبق لهم ان هددوه بالنفي، لكنه تناسى الماضي وتعامل مع متطلبات الحاضر(٤).

انطلقت أولى الاجتماعات في النجف الأشرف اواسط آذار ١٩٢٠ ، إذ عقد اجتماع سري فيها، حضره عدد كبير من العلماء ورؤساء العشائر، وكان هذا الاجتماع بتوجيه من المرجع محمد تقي الشيرازي (قدس)، ساعيا من خلاله الى تحقيق "وحدة وطنية متماسكة"، قدر الامكان أولا، وإزالة "الخلافات وتحقيق التقارب" بين مختلف الطوائف العراقية بين السنة والشيعة خاصة(٥).

وجه المرجع محمد تقي الشيرازي "قدس" العديد من الرسائل الى عدد من الشخصيات والوجهاء ورؤساء العشائر ومن المذاهب الدينية المتنوعة في البلاد منها على سبيل المثال لا الحصر، رسالة في ٢٥ آذار ١٩٢٠، الى الشيخ موحان الخير اللّه ،احد شيوخ عشائر المنتفك. أكد فيها على ضرورة ترك الاختلاف والتعاون على البر والتوافق فيما يرضي اللّه سبحانه وتعالى(٦).

بدأ الحديث عن ضرورة "اشعال نيران الثورة" ضد الوجود البريطاني ، بعد ان توالت الاجتماعات بين رؤساء العشائر ورجال الدين، ففي ١٦ نيسان ١٩٢٠، عقد الزعيم العشائري علوان الياسري، اجتماعاً في منزله الكائن في النجف الأشرف، فطرحت فكرة "الثورة المسلحة" ضد البريطانيين لأول مرة، وقد أيدها البعض وعارضها آخرون وانتهى الاجتماع بالعمل على التمهيد لها عن طريق التوعية الدينية، وقرر المجتمعون اتخاذ عدد من الخطوات السياسية المكملة في مواجهة المحتلين، كان في مقدمتها العمل على تأسيس جمعية باسم "الجامعة الاسلامية" مركزها كربلاء المقدسة ويرأسها المرجع محمد تقي الشيرازي (قدس) وتوزيع منشور بتوقيعه يأمر الناس بـ"الوحدة" ونبذ الخلافات(٧).

تم فرض الانتداب" البريطاني على العراق، وكان ذلك بعد اعلان مؤتمر سان ريمو المنعقد بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٢٠، كان ذلك بمثابة "صب الزيت على النار" ان جاز لنا التعبير ذلك، حيث تم عقد الاجتماعات السرية لمواجهة الامر بحزم، فقد انعقد في أوائل ايار ١٩٢٠ اجتماعا بدار السيد أبو القاسم الكاشاني، الكائن في مدينة كربلاء المقدسة، حضره عدد من شيوخ العشائر ورجال الدين والوجهاء من مختلف مناطق الفرات الاوسط، تداول المجتمعون فيه قضية "الثورة المسلحة" ضد الوجود البريطاني، فكانت مثار نقاش محتدم ما بين معارض ومؤيد للثورة، وبسب ماعزاه البعض الى الامكانيات العسكرية للجيش البريطاني(٨).

حسم المجتمعين أمرهم بتشكيل وفد من خمسة عشر شخصا للاجتماع بالمرجع محمد تقي الشيرازي (قدس) وأخذ رأيه بالموضوع، فكان اللقاء في الخامس من آيار في العام ذاته، أعتبر هذا الاجتماع بمثابة انعطافة تاريخية مهمة من منطلقات الثورة ضد الوجود البريطاني، حيث تم بعده التباحث في امرين مهمين قدرات العشائر العسكرية اولا وامكانية "حفظ الأمن العام للبلاد" ثانيا، فاسفر الاجتماع في نهايته على موافقة المرجع بالقيام بالثورة(٩).

اتخذت الحكومة البريطانية اجراءات "التضييق" و"الترهيب" للقائمين بالأنشطة المعارضة لوجودهم، فلم يتوانوا عن اصدار أمر يمنع عقد الاحتفالات والاجتماعات الدينية فيما بعد، فرد عليها زعماء الحراك السياسي هذا بتشكيل وفد من خمس عشرة شخصية، لعرض مطالبهم على ارنولد ولسن، والخاصة بالحرية والاستقلال(١٠).

طالب زعماء المعارضة في بغداد"المساندة" من المرجعية لتعزيز موقفهم شعبيا، بعد كل هذه الضغوطات البريطانية الكبيرة علبهم، بعث جعفر ابو التمن

يوم ٢٦ آيار ١٩٢٠ رسالة الى المرجع محمد تقي الشيرازي (قدس)، أوضح فيها ممارسات الجانب البريطاني، مع التاكيد على ضرورة قيام المرجعية بـ"العون والمساعدة"(١١).

وجهت المرجعية في كربلاء المقدسة بقيادة السيد محمد تقي الشيرازي (قدس) رسالة مفتوحة الى عموم أبناء البلاد، أكدت مضامينها على التآزر مع الجهود المبذولة في الكاظمية المقدسة وبغداد، حاثا ابناء البلاد كافة في توجيه ممثليهم الى العاصمة لعرض مطالبهم وحقوقهم "المشروعة في الاستقلال"، مشددا على ان ذلك واجب عليهم "الاتفاق من أجل تحقيقه مع اخوانهم(١٢).

سعى ارنولد ولسن الى عقد اجتماع في ٢ حزيران عام ١٩٢٠، لأن البريطانيون قد لمسوا صلابة الموقف الشعبي ازاء تزمتهم وعدم استجابتهم للمطالب المشروعة لأبناء البلاد، حضر الأجتماع عدد من وجهاء بغداد، اكد ارنولد ولسن فيه عزم "حكومته في تأسيس حكومة وطنية" في العراق، في الوقت ذاته أعلن مهددا "أن الذين يرومون تأسيسها بالقوة" لايجنون ، بحسب تعبيره، "الا الخراب لوطنهم"، معرباً عن تحذير سافر للمعارضة.

واجتمع في كربلاء المقدسة عدد كبير من وجهائها في ٤ حزيران ١٩٢٠،وقرروا اختيار مندوبين عنهم لمقابلة السلطات البريطانية في العراق، وبعد الحوار والنقاش تم الاتفاق على اختيار الشيخ محمد الخالصي، والسيد محمد علي الطباطبائي وغيرهم، إذ نظموا مضبطة لم تختلف مضامينها عما جاء بمضبطة النجف الأشرف(١٣).

كان لدعوى كتاب المرجع محمد تقي الشيرازي (قدس) ومضامينه، استجابة كبيرة من قبل رؤساء عشائر الرميثة، مؤكدين عزمهم على ارسال من يمثلهم

للاجتماع من علماء الدين ورؤساء العشائر في النجف الأشرف، مما حفز مندوبو النجف الأشرف الى رفع مذكرة الى الميجر نوربري حاكم لواء الشامية والنجف طالبوه فيها تحديد موعد لهم للاجتماع به يوم ٧ حزيران ١٩٢٠، نصت على "نحن مندوبو النجف المنتخبين من قبل أهالي النجف وابي صخير والشامية من الفرات الاوسط لتمثيلهم والمطالبة بحقوقهم المشروعة، نرغب ان تعين لنا موعدا للاجتماع بجنابك للمفاوضة حول مطلب الأمة العراقية"(١٤).

ارسل الحاكم السياسي للشامية والنجف في ١١ حزيران ١٩٢٠ كتابين إلى كل من شيخ الشريعة الأصفهاني (قدس)، وآخر إلى مندوبي النجف الأشرف، حدد فيه الثاني عشر من حزيران العام ذاته موعد للقاء في محاولة منه لاحتواء الموقف، وامتصاص مايمكن امتصاصه من نقمة الرأي العام وقادته في النجف الأشرف وضواحيها، في اطار سياسي هدفه "المماطلة" و"التسويف" لا"التفاوض" والاستجابة للمطالب المشروعة(١٥).

قام الحاكم السياسي للواء الحلة الميجر بولي بتحريك قواته بتاريخ ٢٢ حزيران ١٩٢٠ صوب كربلاء المقدسة وطوقها ووضع المدافع الرشاشة تجاه الاماكن الحيوية فيها، مطالبا الكربلائيين بتسليم اربعة عشر من زعماء المعارضة للوجود البريطاني. وكان هذا الأجراء بعد شعور الادارة البريطانية في العراق بضرورة اتخاذ خطوات باعادة انتشار قوتها العسكرية خاصة في منطقة الفرات الأوسط تحسبا لأي طارىء من شأنه ان يزعزع الوجود البريطاني فيها. وتحرزا لأي رد فعل غير محمود ازاء القوات المحاصرة، بعث بولي في اليوم ذاته، كتابا الى المرجع محمد تقي الشيرازي (قدس)، اوضح فيه ان هدف الوجود العسكري ما هو الا لحفظ الأمن، فجاءه جواب المرجعية "ساخطا" و"مهددا" ومنذرا للحاكم

السياسي انف الذكر. واوضح الجبوري ان علماء النجف الأشرف سعوا الى التخفيف من وطأة الاحتقان هذا، موضحا ان شيخ الشريعة الأصفهاني بعث برسالة الى ارنولد ولسن بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٢٠، اكدت محتوياتها على عدم قبول ماوقع في كربلاء المقدسة والحلة من اعتقالات، مؤكدا في الوقت ذاته، "اذ لم يطلق سراحهم فالأمر سيخرج عن نطاق السيطرة"، وبالتالي لن يحفظ فيه أمن ولا نظام(١٦).

أثر اعتقال الشيخ شعلان أبو الجون، اندلعت الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، إذ هجم عدد من أفراد عشيرته "الظوالم" على مقر الحاكم البريطاني، وأطلقوا سراحه في اليوم نفسه، فكان ذلك ايذانا باندلاع المواجهة ضد الوجود البريطاني في البلاد(١٧).

يمكن القول ان نجاح عملية تحرير الشيخ شعلان أبو الجون، شجعت أبناء عشيرته والمناطق المحيطة بها في توسيع هجماتهم، ففي اليوم التالي قاموا بمهاجمة سكة الحديد المارة في منطقة السماوة والرميثة والخضر، وفي الرابع من تموز صدت العشائر هجوما للقوات البريطانية في محاولة لفك الحصار عن الحامية، لاسيما وان العشائر الثائرة استطاعت قطع السكة الحديدية شمال وجنوب الرميثة فعزلت الحامية البريطانية بصورة محكمة(١٨).

قام الثوار بالاستيلاء على ست قطارات مسلحة، مخرجين اياها عن سكة الحديد بين السماوة والديوانية ، الأمر الذي اضطرت معه القوات البريطانية في الأنسحاب إلى الديوانية بسبب ضغط هجمات العشائر المتزايد في قوته(١٩) .

للنصر العشائري أثر كبير في اتساع حركته نحو الثوار وذلك لأنه كشف عن ضعف الادارة البريطانية التي لم يكن لدى حكامها السياسيين في منطقة واسعة سوى وعود وبيانات ماعادت تجدي نفعا(٢٠).

عقد البريطانيون اجتماعا في٧ تموز ١٩٢٠ في الشامية مع عدد من شيوخ العشائر والمتنفذين من أمثال: عبد الواحد الحاج سكر والسيد نور الياسري وعلوان الياسري ومحسن ابو طبيخ ورايح العطية وسلمان الظاهر وفريق المزهر، سعيا منهم لتهدئة الأوضاع(٢١).

قرر الثوار توسيع عمليات الثورة على ان تكون أول راية ترفع لها راية السيد نور الياسري، لما في ذلك من تأثير معنوي في اوساط العشائر وان أول اعمالهم الاستيلاء على حامية ابو صخير، كان ذلك جراء التعنت البريطاني وعدم تهدئتهم للأمور دفع العديد من رؤساء العشائر في منطقة الفرات الأوسط الى الاجتماع في مضيف الشيخ عبد الواحد الحاج سكر في ١١تموز ١٩٢٠، وفي اليوم التالي رفعت الراية، وانطلقت الأهازيج وتقدمت جموع العشائر نحو أبي صخير لمحاصرتها، فأطبق بتاريخ ١٣تموز ١٩٢٠ الحصار عليها(٢٢).

هاجمت القوات البريطانية مسجد الكوفة جواً ونتيجة لذلك استهجن علماء الحوزة وزعماء الثورة هذا الفعل، قد وصفت عباراتهم الهجوم بـ"الأعمال البربرية" و"الفاجعة" التي "أوجعت مهج العلماء و"ادمت عيون المسلمين"، موجهين خطابهم الى مختلف "حكومات العالم المتمدن" على حد مضامين البلاغ(٢٣).

باغت الثوار القوات البريطانية من ثلاث جهات ودارت معركة حامية، حيث رصد الثوار حركة هذه القوات في منطقة الرستمية استمرت هذه المعركة ست

ساعات تشتت فيها القوات البريطانية، وتكبدت خسائر كبيرة، تمكن الثوار من قتل أعداد كبيرة منهم واسروا آخرين(٢٤).

سيطر الثوار على منطقة "طويريج" بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٢٠ وفي اليوم التالي شنوا هجماتهم على الحلة، بيد ان البريطانيين تمكنوا من صدها بمساعدة عدد من شيوخ العشائر الموالين لهم في محيط المنطقة، في الوقت الذي استطاع فيه الثوار من السيطرة على سدة الهندية دونما مقاومة.

سعت الادارة لبريطانية الى التخفيف من حدت الموقف، فأذاعت بتاريخ ٣١ تموز ١٩٢٠ بلاغا، تضمن موافقة الحكومة البريطانية وساطة الحكومة الايرانية باطلاق سراح محمد رضا الشيرازي، ونقله الى ايران(٢٥).

تجمعت الكثير من عشائر مدينة السماوة بتاريخ الأول من آب ١٩٢٠، وانضمت الى صفوف الثورة، فأخذت تضغط على الحامية البريطانية المعسكرة فيها، وشنت غارات على خط السكة الحديد الرابط بينها وبين الناصرية، وكان على رأسهم شعلان أبو الجون وغثيث الحرجان وهادي مكوطر، من الشنافية وبدأوا بقلع خطوط السكة الحديد في مواضع مختلفة بالقرب من محطة الخضر(٢٦).

حضرعدد من زعماء الثورة في مدينة كربلاء المقدسة اجتماعا في منزل المرجع محمد تقي الشيرازي (قدس)، تداولوا بشأن تنظيم ادارة المدينة وتشكيل ثلاثة مجالس رئيسة لأدارتها وتسيير أمورها ، تمثلت بـ"المجلس العلمي"، وهو بمثابة المجلس السياسي والإعلامي للثورة، وانتخِب السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني (قدس) رئيسا له، والمجلس الثاني "المجلس الملي" خاص بالإدارة العامة وتعين الموظفين وجباية الضرائب والرسوم وتوزيعها وكان الشيخ محمد

حسن ابو المحاسن من بين أبرز أعضائه ، وأخيراً " المجلس الحربي" ترتكز مهامه الاساسية على قيادة العمليات العسكرية للثوار ووضع الخطط المناسبة للانقضاض على القوات البريطانية، وكان من بين أبرز أعضائه كل من عبد الواحد الحاج سكر وعلوان الياسري وغيرهم وكانت هذه المجالس تعمل جميعاً بأشراف المرجع محمد تقي الشيرازي(٢٧).

نشر الثوار خبر مقتل الكولونيل ليجمن الحاكم السياسي للواء الدليم بتاريخ ١٢آب ١٩٢٠ ببلاغ بتاريخ ١٦ آب ١٩٢٠، أوضحوا فيه تفاصيل العملية.حيث سلطت الأضواء في هذا البلاغ على مقتل الكولونيل ليجمن الحاكم السياسي للواء الدليم بتاريخ ١٢آب ١٩٢٠ في خان النقطة على يد الشيخ ضاري المحمود، من قبيلة زوبع بمشاركة ولديه(٢٨).

بعث المرجع محمد تقي الشيرازي (قدس) برسالة الى عصبة الامم في جنيف بتاريخ ١٢ آب ١٩٢٠،اوضح في مضامينها تنصل "الحلفاء" عن وعودهم السابقة، واستخدامهم أساليب "القتل" و"التنكيل" ضد الشعب العراقي لا لشيء الا لأنهم طالبوا بحقوقهم مطالبا اياها بصفتها منظمة دولية اتخاذ مايلزم.

توفي الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس) يوم ١٧ آب ١٩٢٠، وأشار البعض الى انه ربما اغتيل بالسم على أيدي عملاء لبريطانيا، واصدر شيخ الشريعة الأصفهاني (قدس) بيانا في اليوم ذاته نعى به "عميد المسلمين" بحسب تعبيره، مؤكدا على ضرورة شد العزائم ومتابعة "الجد والنشاط" من أجل الدفاع عن البلاد(٢٩).

حضر عدد كبير من العلماء ورجال الدين ورؤساء العشائر يوم وفاته فجرى له تشييع كبير، ودفن في الصحن الحسيني الشريف في مدينة كربلاء المقدسة وأقيمت له مجالس الفاتحة لأيام وشهور عديدة في كثير من المدن العراقية(٣٠).

ألقت الطائرات البريطانية آلاف النسخ من الكتاب الموجه الى شيخ الشريعة الأصفهاني (قدس) المرجع الديني الكبير، وزعتها في جميع مناطق الفرات وباقي مناطق الثورة الأخرى، حيث بادر ارنولد ولسن بتاريخ ٢٧ آب ١٩٢٠ إلى عرض الصلح عن طريق توجيه كتاب الى شيخ الشريعة الأصفهاني (قدس) المرجع الديني الكبير، تم نشره في الصحف المحلية، أعدت نصوص هذا الكتاب على رغبة الإدارة البريطانية بعقد الصلح وتجنب ما أسمته من "سفك الدماء" وإزهاق النفوس(٣١).

اضطرت السلطات البريطانية الى اصدار امرا بتوقيف يوسف السويدي وعلي البازركان وجعفر ابو التمن والشيخ احمد الشيخ داود، حيث بدأت التظاهرات والاجتماعات تزداد بشكل كبير، فضلا عن الخطب السياسية والقصائد الثورية، فتمكن الثلاثة الاوائل من الهرب الى منطقة الدورة ومنها الى الفرات الاوسط، أما الشيخ احمد الداود فقد تم القاء القبض عليه حيث نفي الى جزيرة هنجام في الخليج العربي(٣٢).

تعزز حجم القوات البريطانية في البلاد، بعد ان زاد عدد جنودها مع حلول نهاية شهر آب، وان مركز قيادتها في بغداد تعزز هو الآخر، وازداد احتياطها في العدة والعدد. تأثرت سلباً معنويات الكثير من الثوار، بعد ان استنزفت بشكل كبير الكثير من جهودهم وقدراتهم وعتادهم في عمليات شهري تموز وآب عام ١٩٢٠، الى جانب انحسار كميات المؤن، فضلاً عن ان معظم الثوار من الفلاحين، وما

يعنيه ذلك من ارتباطهم بنشاطهم الأساس زراعة الأرض، وابتعادهم عنها ونشاطهم هذا مدة قرابة الخمسة أشهر، أثر سلباً على معنوياتهم الى حد كبير(٣٣).

تباحث السير برسي كوكس في الأول من تشرين الأول، بعد وصوله البصرة مع رؤساء العشائر القريبة منها وباحثهم حول تأسيس الحكومة المنشودة في العراق ثم غادرهم يوم ٥ تشرين الأول متوجها الى بغداد(٣٤).

انطلق اللواء العسكري البريطاني ثلاثة وخمسين بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠ باتجاه كربلاء، واستطاعت قواته من احتلال منطقة طويريج بعد معركة حامية الوطيس مع الثوار(٣٥).

كان لهذه المعركة تأثيرا سلبياً على معنويات معظم الاهالي في كربلاء المقدسة، الأمر الذي دفع عدد من وجهاء البلدة في الذهاب الى قيادة القوات البريطانية في طويريج، بتاريخ ١٧ تشرين الأول ١٩٢٠ للتفاوض من اجل انهاء الثورة فيها، بيد أن آمر القوة العسكرية فيها لم يستجب لمطلبهم ، وحثهم في لقاء برسي كوكس للتفاوض معه بشأن مطلبهم(٣٦).

اصطدمت القوات البريطانية في معركة عنيفة بالثوار في مدينة الكوفة وان "المعركة بين الطرفين" كانت شديدة، وتمخضت عن وقوع العديد من الجرحى والقتلى بين الطرفين، بيد ان استخدام القوات البريطانية لنيران مدفعيتها وطائراتها الكثيف، أجبر أهالي المدينة على الاستسلام في العشرين من تشرين أول العام المذكور(٣٧).

فرضت الحكومة البريطانية جملة من الشروط والمطالب على عدد من وجهاء النجف الأشرف وبعض من رؤسائها، بعد ان تم استدعائهم الى مقر الادارة

البريطانية بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٠ ، وتم تسليمهم جملة من الشروط والمطالب التي فرضت على اهالي المدينة، كان من بينها دفع "١٢٧٦٠" بندقية حديثة و"١٤٢٩" بندقية صالحة للاستعمال وثمان رشاشات من طراز لويس ورشاشتين من طراز هوشكيس مع ٢٠٠ ألف خرطوشة وتسليم خمسة أشخاص للادارة البريطانية وفي أثر ذلك دخلت قواتهم اليه(٣٨).

المبحث الثاني : أسباب فشل الثورة، وأهم النتائج التي ترتبت عليها:

ان فشل الثورة أمر لم يتفق على اسبابه المؤرخون، حيث تجمعت العديد من الأسباب التي ادت الى فشل هذه الثورة العظيمة، وفي الوقت الذي اتسع نطاق الثورة فشمل منطقة الفرات الأوسط بأجمعه، وقسم غير قليل من المحافظات الجنوبية والشمالية، بل ان الأضطرابات سرت إلى بغداد وباتت مهددة من الدخل والخارج بالعناصر الوطنية، سحقت الثورة وفشلت ويمكن تلخيص الظروف والأسباب التي احاطت بهذا الفشل وحصرها بالأسباب التالية:

١ـ انخفاض مستوى سبل تمويل الثورة

٢ـ قلة الأمكانات العسكرية والحربية لدى الثوار

٣ـ كبر حجم الأمكانات العسكرية لدى الجيش الأنكليزي

٤ـ قوة الأمكانات العسكرية الجوية لدى الأنكليز

٥ـ امتداد زمن القتال

٦ـ جهل الثوار بأسلوب الحرب النظامية

٧ـ جهل الثوار بأسلوب حرب الغور، وحصر الثورة في الفرات الأوسط، وفقدان القيادة العامة

٨ـ خيانة بعض البرجوازيين والأقطاعيين

٩ـ قدوم برسي كوكس بالأماني

١٠ـ انقطاع الصلة بالعالم الخارجي

أذا كان يحق للعراقيين أن يفخروا بشيء فأن لهم في ثورة العراق الكبرى (ثورة العشرين) خير ما يعتزون ويفخرون به، فلقد أظهرت هذه الثورة المباركة بفتوى المرجعية الرشيدة المعدن الأصيل لأبناء شعب العراق في مواجهة عدوهم الحقيقي بعد سنوات قليلة من دخول القوات البريطانية للعراق بعد هزيمة الدولة العثمانية وخسارتها الحرب العالمية الأولى، ولم تكن ثورة العشرين وكما حاول البعض أن يصورها وليدة حادثة معينة أو ضرف شخصي أو اجتهاد ديني أو نعرة عشائرية بل هي كانت ثورة كل العراق.

بالحقيقة ان ثورة العشرين قد اخفقت عسكرياً ،الا انها تمخضت عن نتائج سياسية وإدارية أنية ولاحقة آنذاك كان لها أثر كبير في تكوين المملكة العراقية المعاصرة بـ دستورها ومؤسساتها التشريعية والتنظيمية من جهة وحددت شكل العلاقة مع بريطانيا العظمى من جهة أخرى.

كان من أهم النتائج التي تمخضت بها الثورة:ـ

١ـ لقد اتحدت ارادت الشعب العراقي في هذه الثورة ، وكان الولاء للأسلام والوطن ولم يكن للمذهب الواحد.

٢ـ أن ثورة العشرين كانت بحق ثورة اسلامية وطنية، اذ كانت دوافعها أسلامية وطنية خالصة حيث لم يكن زعمائها ابتداءا من الهرم المرجعي وانتهاءا بالقيادات الشابة من العشائر في جبهات القتال ذوو مطامع شخصية أو طموحات سلطوية.

٣ـ بريطانيا التي ذاقت مرارة الشيعة ومراجعها وعلمائها في النجف وصمود السنة في المقاومة والكفاح والنصر ، لم تكن لديها النية في اسناد الوزارات لهم لولا، وتأسيس

الحكم الملكي لملك عربي عراقي ،هذا الصمود العظيم برفع شعار (الطوب أحسن لو مكوار).

٤ـ لقد كانت الروح الوطنية حاضرة في كل خطوة خطتها المرجعية في احداث العراق، وكان الوطن رديفا للأسلام والمذهب والتعصب عندها .

٥ـ اثناء أشتعال الثورة العراقية الكبرى في الفرات الأوسط وجنوبه وامتدادها لمناطق متفرقة في انحاء العراق ، استبدلت الحكومة البريطانية ولسن بالسيد برسي كوكسي لتجعل منه مندوبا على العراق .

٦ـ كانت هناك سلسلة من المراسلات المهمة بين عدد من علماء الدين في النجف الأشرف وأمير المحمرة الشيخ خزعل، لحث الأخير ومن خلال صلاته مع البريطانيين في اتخاذ مايلزم لاطلاق سراح المنفيين في الخارج بسبب احداث ثورة العشرين وعودتهم الى بلدهم العراق.

٧ـ ترشيح الامير فيصل بن الحسين ملكا على العراق.

أهم نتائج البحث

١ـ يمكن القول ان أولوية ماعملت عليه المرجعية الدينية في العراق، هي أولوية الواجب الجهادي الذي ظل ملاصقا معها منذ تأسيس العراق وحتى وقتنا الحاضر. شهد العراق أحداثا عصفت به، بدئا من عملية احتلاله ودخول القوات الأجنبية إلى أرضه الى وقتنا الحالي. تؤكد على حرصها الشديد لدماء ابناء العراق ومحاولة الابتعاد عن ما يؤدي الى اراقة قطرة دم واحدة من دماء أبنائه. لم يكن الإمام القائد الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي (قائد ثورة العشرين المجيدة) قائد ثورة فحسب، بل كان قائد دين، وعملاق فكر، ومعلم خير وفضيلة، قضى عمره الشريف في خدمة اللّه

ومصالح المسلمين، برحابة صدر، وانشراح قلب، وانفتاح باع، كان علما من أعلام الاجتهاد والمرجعية في العالم الإسلامي.

٢ـ ان الزعامة الدينية الشيعية في العراق والتي لعبت دورا خطيرا في تفجير وأجيج ثورة ١٩٢٠م الوطنية، كانت تنطلق في تفكيرها السياسي من منطلق ديني اسلامي عام لا يختص بطائفة مذهبية معينة، شيعية أو سنية، ولا بفئة اثنية دون أخرى، عربية أو كردية أو تركية أو غيرها.

ملخص البحث

لم يلتزم الاحتلال البريطاني بوعوده باستقلال العراق بعد تحريره من العثمانيين، وتسلطهم على مقدرات العراق، واستخدام اسلوب القسوة ضد السكان ففي ٢٥ نيسان ١٩٢٠ أعلنت مقررات مؤتمر سان ريمو، والتي تضمنت إعلان الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين ، والفرنسي على سوريا ولبنان . لقد كان القرار صدمة قوية للأوساط الشعبية والدينية العراقية، وكانت قد سبقته تحركات سياسية فجرها الاستياء من سوء معاملة الإدارة البريطانية للعراقيين عموما، وكانت المرجعية في اول الركب، حيث رفضت هذا الأحتلال الغاشم، الذي فرض على الشعب العراقي فتصدت وتولت قيادة الكفاح والجهاد ضد المستعمر الغاشم. لهذا اصبحت الثورة الاداة الفاعلة لأسقاط هذا المخطط الاستعماري. إنها أول ثورة في الشرق الاوسط، اصطدم بها الاحتلال البريطاني، وقد وصفها الإمام السيد (محمد الحسيني الشيرازي)، "بأنها الثورة التي هزت العرش البريطاني"، وهذه الثورة كانت مفتاح اعلان العراق كدولة تحت حكم النظام الملكي، بعد سنوات من السيطرة الأجنبية عليه. تناول البحث حقيقة دور المرجعية الشريفة في أطلاق شرارة ثورة العشرين وهي حقيقة وطنية وقف فيها الشعب العراقي برمته وبكل شرائحه

الأجتماعية مهتديا بالقيادة المرجعية الرشيدة لعلماء الأمة، فكانت ثورة وطنية اسلامية عربية تجسدت فيها القيم العربية الأصيلة بابهى صورها الوطنية الرائعة. يتألف البحث من مبحثين هما :- المبحث الأول : ظروف انبثاق الثورة، ودور المرجعية في انبثاقها.

المبحث الثاني : أسباب فشل الثورة، وأهم النتائج التي ترتبت عليها. يعكس هذا البحث كيف كانَ للحوزةِ العلمية الدينية وتوجيهاتها الدورَ الأساسي في انبثاق ثورة العشرين التي تعد اول ثورة في تاريخ العراق الحديث، حيث شكلت منعطفا تاريخيا وسياسيا واجتماعيا للشعب العراقي، وكانت البداية لتأسيس الدولة العراقية الحديثة، هذه الأهمية للثورة تنبع من الظروف المحيطة بها، والتي رافقت انطلاقها، والنتائج التي تمخضت عنها والتي كان لها أثر كبير على مستقبل العراق السياسي الحديث. إنها الثورة التي وحدت الشعب العراقي تحت قيادة شعبية موحدة من كافة فئات الشعب العراقي تحت إشراف المرجعية الدينية بقيادة المرجع الاعلى (محمد تقي الحائري الشيرازي) الذي اعطى فتواه بالإذن الشرعي بالجهاد واعلان الثورة.

الهوامش والمصادر

(١) محمد بحر العلوم، الدراسة وتاريخها في النجف / موسوعة العتبات المقدسة – جعفر الخليلي، قسم النجف، ج٢، طبع دار التعارف، بيروت، ١٩٦٦.

(٢) السيد مصطفى جمال الدين، مقدمة الديوان، ص: ١٣ – ٢٧

(٣) عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الأسلامية في العراق ن (بيروت : الدار العالمية ، ١٩٨٥)، ص ٢٩٣.

(٤) رشيد الخيون، المشروطة والمسبدة، (بيروت : مطبعة الفرات ، ٢٠٠٦)، امجد سعد المحاويلي، محمد حسين النائيني، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة: كلية الآداب ، ٢٠٠٦).

(٥) عبد الحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص٢١١.

(٦) كامل سلمان الجبوري، رسالة الأمام الشيرازي الى الشيخ موحان الخير الله احد رؤساء قبائل المنتفك يدعوه الى توحيد الكلمة والأتفاق بين القبائل في اللواء لمواجهة العدو، وثائق الثورة العراقية الكبرى،ج٣ ، ص٤٨.

(٧) علي الشرقي، الأحلام، (بغداد: شركة الطبع، ١٩٦٣)، ص١٠٨.

(٨) كامل سلمان الجبوري، النجف الأشرف والثورة العراقية، ص٤٥.

(٩) المصدر نفسه، ص٥٠.

(١٠) كاظم الدجيلي، احداث ثورة العشرين كما يرويها شاهد عيان ، (بغداد: طبعة الزمان ، ١٩٧٣) ، ص٢٥.

(١١) كامل سلمان الجبوري، كتاب جعفر أبو التمن الى محمد تقي الشيرازي يخبره بالحوادث الأخيرة في بغداد، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج٣، ص٦٩.

(١٢) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث،ج٥، ط٢،(بيروت: دار الراشد، ٢٠٠٥) ص١٨٤.

(١٣) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج٣، ص١٠٢.

(١٤) المصدر نفسه، ص١٢٣.

(١٥) المصدر نفسه، ص١٣٤ .

(١٦) كامل سلمان الجبوري، محمد تقي الشيرازي ، ص٢٧١.

(١٧) كامل سلمان الجبوري، ،اندلاع الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ، ج٣ ، ص٤٠٤.

(١٨) جاسم حسين الصكر، شيخ العشيرة دوره السياسي في العراق في سنوات الأنتداب البريطاني ١٩٢٠ـ ١٩٣٢ ، (بابل: دار الفرات ، ٢٠٠٩)، ص٩٩.

(١٩) عبد الله فهد النفيسي ، دور علماء الشيعة في تطور العراق السياسي، (بيروت: دار النهار، ١٩٧٢) ص ٣٧٨.

(٢٠) جيمس سوماريزمان، مذكرات الكابتن مان، ترجمة كاظم الساعدي، تحقيق كامل سلمان الجبوري، (بيروت:مؤسسة المعارف،٢٠٠٢)، ص٢١ـ ٢٢.

(٢١) عبد الزهرة الفتلاوي، عاشق العراق عبد الواحد آل سكر، (النجف: دار الضياء، ٢٠٠٦)، ص٤٨.

(٢٢) عمار يوسف عبد الله العكيدي، السياسة البريطانية تجاه عشائر العراق ١٩١٤ـ ١٩٤٥، أطروحة دكتوراه، (جامعة الموصل: كلية التربية ، ٢٠٠٢) ، ص٢١٠.

(٢٣) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج٤، ص٩٨ .

(٢٤) جاسم حسنين الصكر، شيخ العشيرة دوره السياسي في العراق في سنوات الأنتداب البريطاني ١٩٢٠ـ ١٩٣٢ ، (بابل: دار الفرات،٢٠٠٩) ، ص١١٠.

(٢٥) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج٤ ، ص٦٦.
(٢٦) خالد العاني، موسوعة العراق الحديث، (بغداد: د.ط،١٩٧٧)، مج١، ص١٩٣.
(٢٧)- أخلاص لفته الكعبي، موقف الحوزة العلمية في النجف الأشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩١٤- ١٩٢٤، رسالة ماجستير، (الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ٢٠٠٦)، ص١٤٢.
(٢٨) عمر ابراهيم الشلال، لواء الدليم في عهد الحكم البريطاني المباشر على العراق ١٩١٧- ١٩٢٠، رسالة ماجستير، (جامعة القادسية: كلية الآداب، ٢٠٠٢)،ص ١٦.
(٢٩) كامل سلمان الجبوري، بيان شيخ الشريعة الى الأمة العراقية بمناسبة وفاة الأمام الشيرازي، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج٣، ص٢٦٤ .
(٣٠) نور الدين الشاهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، (طهران: د.ط،١٩٩١)، ص١٩٠.
(٣١) كامل سلمان الجبوري، كتاب ولسن الحاكم الملكي العام في العراق الى شيخ الشريعة بمناسبة وفاة الأمام الشيرازي وقد طبعت السلطة البريطانية الآف النسخ منه ووزعتها في جميع مناطق الفرات، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج٤ ، ص٢٨١ – ٢٨٣.
(٣٢) المصدر نفسه، القاء القبض على زعماء الفئة المتطرفة، ج٤، ص٧٢- ٧٣ .
(٣٣) صادق حسن السوداني، لمحات موجزة من تأريخ نضال الشعب العراقي، (بغداد: دار الحرية، ١٩٧٩)، ص١١- ١٢ ، المس بيل، فصول من تأريخ العراق القريب، ص٢٤٤.
(٣٤) كامل سلمان الجبوري، المندوب السامي وصل الى البصرة، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج٤، ص١٠٣ .
(٣٥) كامل سلمان الجبوري، بلاغ بريطاني، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج٤، ص١١٢.
(٣٦) سلمان هادي ال طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، ص٧١.
(٣٧) كامل سلمان الجبوري، النجف الأشرف والثورة العراقية، ص١٣٧ .
(٣٨) كامل سلمان الجبوري، الموقف في العراق، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج١٥٠،٤.